

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

معاناتي لهُموم إنسان العصر وهو اجسه ومآسيه ، وجهتني أول الأمر إلى أن أقدم مباحث هذا الكتاب بعنوان : القرآن وقضايا العصر .

ثم عدلت عنه ، لعلمي أن العصرية ابتذلت في زماننا ، واختلت موازينها فليس عصرياً من لا يتنحل منا فكر الفرنجة ويتنمي إلى إحدى مدارسها ، ويشغل بالتيارات الوافدة التي سيطرت على كثير من مثقفينا المحدثين ، حصروا قضايا العصر في صراع المذاهب الاقتصادية والنظم السياسية والأوضاع الاجتماعية .

ولن يجدوا في كتابي هذا ما يشغلهم

ذلك لأنني لا أنتمي إلى يمين ولا إلى يسار ، بالمصطلح المذهبي المعاصر . وإنما إنتمائي إلى الإنسانية في شمولها المطلق ، وولائي لعقيدتي التي أدين بها ، ولأمتي التي لا أرى سواها لي مذهباً .

وقد أرى في الانتماء إلى مذهب دخيل طارئ ، ما يجرح كرامة عقلي ويصادر حرية فكري بالإلزام المذهبي الذي يحدد لي زاوية الرؤية للحياة والإنسان ، ولا يسمح لي في أن أتجاوزها أو أحمدها عنها .

متأثرة في هذا العزوف عن الانتماء إلى غير إنسانيتي وعقيدتي وأمتي ، بما حملني الإسلام من تكاليف جربة العقيدة والفكر والرأي . ومبلغ علمي أن المذاهب المحدثه ، اليمين منها واليسار ، تصادر هذه الحرية ، فلا يسمح أي مذهب منها

برأي مخالف، بل قد تهدر حياة الإنسان في سبيل فرض المذهب بالقسر والإكراه.
الشيوعية جريمة في أمريكا ،
والخروج عليها جريمة في الدول الماركسية .
وهذه بدورها تختلف فهمها للمذهب وتفسيرها إياه ، فلا يحل لروسي أن
يميل إلى تفسير « ماوتسي تونج » كما لا يحل لصيني أن يخرج عليه ويفكر بغير
عقيدة الزعيم .

• • •

في انطاق الإنساني ، تشغلني قضايا كانت وستظل أبداً ، مشغلة الإنسان
حيثما وأنى كان ، فيما يحمل من أمانة إنسانيته وتكاليف وجوده وشواغل دنياه
وهواجس أخراه .

ويؤرقني من مآسي الانتهاك لحرمة الإنسان في عصرنا ، ما يزهديني في مذاهب
جديدة ونظم محدثة ، تتصارع على مناطق السيطرة وقواعد النفوذ ومجال الاستغلال
في عالم يشن من مآسي الاضطهاد المذهبي والديني ، زجرائم القرصنة الصهيونية
وفواجع التفرقة العنصرية .

وعصرنا يمن علينا بوثيقة لحقوق الإنسان ، أعلنتها هيئة الأمم المتحدة منذ
نحو ربع قرن من الزمان .

من عجب أن هذه الفترة الزمنية ، هي عمر جيل من أبنائنا ، تنفسوا وهم
أجنة في الأرحام ، غبار فاجعة هيروشيما ونجازاكي ، واستقبلتهم في المهدي ، عام
إعلان وثيقة حقوق الإنسان ، جريمة العصر التي بترت جزءاً من وطن الإنسان
العربي ، أخرج من دياره وأرض أجداده ، ونبد بالعراء في مخيمات اللاجئين
على زمجرة الوحش الصهيوني الذي اغتصب بلادنا يعربد فيها وينتهك أقدس
حرمات الإنسان في مهد المدنية وأرض الرسالات .

وشهد هذا الحليل من أبنائنا أمته في صباه ، تقدم لمعركة تحرير الجزائر الباسلة
أكثر من مليون شهيد فدية لشرف الإنسان .

وعاش بوجوده وضميره ، حروب الإبادة والتدمير ومصارع الشهداء والضحايا ، في المذابح الجماعية بالشرق الآسيوي الإفريقي .

وتضيق حرمة المبادئ في تواطؤ أقطاب العصر لتتعادل موازين القوى الماردة المسيطرة على عالم اليوم ، فتغدو أعرق الشعوب أوراقاً على مائدة اللعب لطواغيت هذا الزمان ، وبضاعة للتبادل بينهم والمساواة على مناطق النفوذ .

وفي معرض الأفتنة ، يستوي رداء القديس وعباءة الشيطان .
وتزيف القيم فيلهج بالسلام لصوص السلام ، ويشر بحقوق الإنسان أعداء الإنسان ، ويرجم الاستعباد من استبدلوا بالرق الفردي الرق الجماعي ، وسخرروا العلم لوأد روح الإنسان بأجهزة جهنمية تغسل مخه وتستبيح ضميره وتنتهك مكنون سره ، وقد كان العبيد في العصور الخالية تُقيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل والأغلال ، وتبقى لهم ضمائرهم وقلوبهم منطقة حراماً لا تنتهك ، ولا تخضع لأي قيد أو رقابة . . .

• • •

وبإنسانيتي أرنو إلى أمتي في محتتها بأعداء الإنسان :
في ساعات معدودات ، سيق أقوى جيش لها في قلب الوطن العربي والعالم الإسلامي ، من حرب اليمن إلى مقبرة سينا .

وفي أيام قليلات ، سيق أقوى جيش لها في الشرق الآسيوي ، إلى مجزرة دكا ومصيدة البنغال .

وغبر بعيد من باكستان المنكوبة ، تواجه أمتي مذابح جماعية في الفلبين ...
والأسلحة هنا وهناك وهناك ، من قطبي الصراع المذهبي الذي يسحق الملايين منا في لعبة توازن القوى .

ويلح على خاطري سؤال : ماذا يراد بأمتي ؟
فأرانا قد مزقتنا المذاهب والأوضاع والنظم ، فرقاً وأحزاباً وطوائف ، فذهبنا طرائق قديدا .

وتستنزف الخصومة قوانا وتوقد بيننا نار العداوة والبغضاء، بعد أن تكفلت
الإرساليات التبشيرية والمدارس الأجنبية ، بترية جيل مشوه ممسوخ من أبناء
الأمة ، يُدعى لغير آبائه وينتمي فكراً وثقافة ومذهباً إلى غير أمته .

وقد راج في أمتي كلام كثير عن نقد الفكر الديني وأفيون الشعوب
المستضعفة ، وتمهات متهافتون على ما بهرهم من بضاعة مستوردة ، فمنهم من
فتن عن دينه وكفر به جهلاً بعبء قيمه وأصيل مبادئه وعالي مثله ومنهم من
ارتدى زي الكهنوت العصري ، فراح يروج في الأمة مخدرات سامة من بدع
التأويلات التي لا تجوز على عقل ولا على دين ...

• • •

وإذ تحمل أمتي عبء هذه الجولة الشرسة من المعركة الضارية ضد أعداء
الإنسان ، تأخذ قضاياها موضعها من قضايا الإنسان ، فيما تواجه من تكاليف
الجهاد وتحديات العصر .

وهي قضايا أنظر إليها من الموقع الفكري الذي فرضت عليّ عقيدتي
ومدرستي أن أقف فيه ، نضالاً عن وجود أمتي وشرف الإنسان .

فليكن لسواي من المفكرين وجهات نظرهم إلى قضايا العصر من مختلف
الزوايا التي يطلون منها على عالمنا .

وليتقبل أصدقائي القراء وجهة نظري من الأفق القرآني الذي أطل منه على
وجودنا ، من حيث أدري أن هذا القرآن هو الذي صنع تاريخ أمتي وضم
شعبها تحت لوائه الجامع .

وهو الذي كرم الإنسان وأعطاه الكلمة الأخيرة للدين في ختام رسالاته ،
وكل ميسر لما خلق له ..